

بناء الشخصية من خلال القرآن الكريم

م. م. احمد محمود سيدوك

جامعة صلاح الدين

بناء الشخصية من خلال القرآن الكريم:

تمثل نفس الانسان الاطار الاساس الذي يحدد معالم شخصية الانسان، فهي التي تجعل منه شخصية متزنة تتفاعل مع المحيط الاجتماعي بمرونة وحركية ونجاح وهي في مقابل ذلك قد تجعله انساناً مضطرباً مرتبكاً يتحرك بوحى الانفعالات والمشاكل النفسية، فيعتزل الحياة، ويتهرب من المجتمع. أو انه يبادل الحياة والناس نظرة عدائية متشائمة.

إلا أن النفس تظل عالماً غامضاً يصعب فك اسرارها، لأن الحل الحقيقي بيد الانسان نفسه. فلقد وهبه الله سبحانه من العناصر الذاتية ما يمكنه أن يجعل من نفسه شخصاً سوياً متوازناً. وحدد له سبحانه خطوات الطريق القويم ليسلكه في استقامة وهدى. حيث بين له أبعاد كل حركة فيه وكل خطوة من خطواته، وترك له حرية الاختيار، فأما أن يتملك الإرادة ويسلك نهج الهدى، وأما أن يفقدها فيضيع في الضلال {إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورٌ} (١).

ولا تكفي الإرادة وحدها لأن تخلق من الانسان شخصية متوازنة، بل لابد من منهجية دقيقة يسير على ضوئها في علاقته بالله تعالى ومع نفسه ومع محيطه. وكل ذلك فصله الله في القرآن الكريم ، ووضعه أمام الانسان ليربي نفسه وليجعل منها كياناً متوازناً يعيش الحياة والرسالة كما قال تعالى: (وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ) (٢)

سنتناول في هذا المبحث المقومات الأساسية لبناء الشخصية الناجحة الإيجابية من خلال آيات قرآنية موزعا كل مقوم على مطلب على الشكل الآتي:

المطلب الأول: الثقة بالنفس:

الثقة بالنفس هي حسن اعتماد المرء بنفسه واعتباره لذاته وقدراته حسب الظرف الذي هو فيه (المكان، الزمان) دون إفراط (عجب أو كبر أو عناد) ودون تفريط (من ذلة أو خضوع غير محمود). وهي أمر مهم لكل شخص مهما كان ولا يكاد إنسان يستغني عن الحاجة إلى مقدار من الثقة بالنفس في أمر من الأمور. الثقة هي إيمان الإنسان بقدراته وإمكاناته وأهدافه وقراراته، أي الإيمان بذاته (٣).

(١) سورة الانسان، الآية رقم ٣.

(٢) سورة الانعام، الآية رقم ١٥٣.

(٣) ينظر: التفسير الوسيط للزحيلي، المؤلف: د هبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر - دمشق

الثقة بالنفس من العوامل النفسية الهامة التي تلعب دوراً كبيراً في إدارة الفرد لذاته، وتحدد شكل علاقته بالآخر، وتسهم في توظيف الفرد لطاقتها، وتحقيق أهدافه وطموحاته، وهذا على مستوى الفرد، أما على مستوى الأمة فإن تحقيق الآمال الكبيرة، والانتصار على الأعداء، وتحرير المقدسات، وإعلاء راية الإيمان لن يقوم إلا على أكتاف أناس لديهم ثقة بربهم، ثم ثقة بأنفسهم، الإنسان الواثق بنفسه لديه القدرة على حسن إدارة ذاته، ومواجهة المواقف الحرجة، وتجاوز العقبات، والثقة بالنفس من العوامل الهامة التي تمكن الفرد من الانفتاح على الآخرين، وحسن التواصل معهم، بالإضافة إلى أنها تساعد على توظيف إمكانياته وقدراته التوظيفية الأمثل، وأيضاً تمكنه من الإنجاز في الحاضر، وتحقيق الأهداف في المستقبل؛ هذا مما يجعله يشعر بالاستقرار والطمأنينة والإحساس بالسعادة، والاستمتاع بلذة النجاح، وفي المقابل فإن الفرد غير الواثق في نفسه يجد في نفسه ضعفاً عند مواجهة المواقف الحرجة، وربما يشعر بالإحباط والتثبيط عند مواجهة مواقف عادية، وقد يفسرها على أنها مستحيلات يصعب تجاوزها، كما أنه لا يستطيع إدارة ذاته، وقد يعاني من الانسحاب والهروب وخاصة في المواقف الحرجة، وفقد القدرة على التواصل الجيد مع الآخرين، حيث إن لديه حساسية شديدة، ويفسر كثيراً من الأشياء العادية التي يتعرض لها على أنها محبطة أو مهينة لكرامته، والشخص غير الواثق بنفسه لا يرى قدراته الحقيقية ومواهبه، أو يراها على أنها أشياء عادية ليس لها قيمة كبيرة، وبالتالي فهو لا يتمكن من توظيف إمكانياته، كما أن لديه شعوراً بالإحباط يجعله عاجزاً عن تحقيق كثير من الإنجازات، أو وضع أهداف ذات قيمة في حياته، فضلاً على أن يصل إليها إذا وضعها، مما يجعله في نهاية المطاف لديه شعور بالإحباط واليأس، ويفقده ذلك أن يشعر بلذة النجاح^(٤).

سنتطرق إلى دعائم الثقة بالنفس فيما يلي:

أولاً-التفاؤل والإيجابية :

- فإن القرآن يخبر المؤمن بأن لا يحزن أبداً لأن الحزن سلوك سلبي، ولو لاحظنا وتأملنا أن كلمة "تحزن" مسبوقة بـ لا الناهية دوماً في القرآن الكريم سندر الآيات التي وردت فيها كلمة الحزن بمختلف مشتقاتها :
- ١- قوله تعالى: (فإِذَا يَأْتِيَكُم مَّتِي هَدَىٰ فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)(٥) .
 - ٢- قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّالِحِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)(٦) .
 - ٣- قوله تعالى: (بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)(٧)

الطبعة : الأولى - ١٤٢٢ هـ، ج٣ص٢٢٦، و الحاوي في تفسير القرآن الكريم، ويسمى (جنة المشتاق في تفسير كلام الملك الخلاق) العاجز الفقيه عبد الرحمن بن محمد القمّا إمام وخطيب مسجد نورسلى - رأس الخيمة دولة الإمارات العربية المتحدة، ج٢٠٥ص١٨٠، و زهرة التفاسير، المؤلف: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ) دار النشر: دار الفكر العربي، عدد الأجزاء: ١٠، ج٢ص١٥٤.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير - تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب الجديد - المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) الناشر : الدار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ، ج٦ص٢٢٨.

(٥) سورة البقرة، الآية رقم ٢٨.

(٦) سورة البقرة، الآية رقم ٦٢.

(٧) سورة البقرة، الآية رقم ١١٢.

- ٤- قوله تعالى: (الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَثًا وَلَا أَدَى لَهُمْ أَجْرَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (٨)
- ٥- قوله تعالى: (وَلَا يَحْزَنُكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِزْبًا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (٩).
- ٦- قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزَنُكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخِرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يَحْرِفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتُوهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يَرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يَرِدِ اللَّهُ أَنْ يَطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (١٠) .
- ٧- قوله تعالى: (وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (١١)
- ٨- قوله تعالى: (إِذْ تَصْعَدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُحْرَاكُمْ فَأَتَابَكُمْ عُمًّا بَعْلًا لِكَيْلًا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) (١٢) ﴿ آل عمران :
- ٩- قوله تعالى: (قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لِيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكَدُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ) (١٣) : ﴿٢٣﴾
- ١٠- قوله تعالى: (إِنْ أَنْتُمْ نَصَرْتُمْ فَقَدْ نَصَرْنَا اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعَلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (١٤) ﴿التوبة : ٤٠﴾
- ١١- قوله تعالى: (وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَرْمًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يَنْفِقُونَ) (١٥)
- ١٢- قوله تعالى: (وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (١٦)
- ١٣- قوله تعالى: (لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفَضْنَا حَتَا حَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ) (١٧)
- ١٤- قوله تعالى: (قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) (١٨)
- ١٥- قوله تعالى: (وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَلَالٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ) (١٩)

(١) سورة البقرة، الآية رقم ٢٦٢.

(٢) سورة آل عمران، الآية رقم ١٧٦.

(٣) سورة المائدة، الآية رقم ٤١.

(٤) سورة آل عمران، الآية رقم ١٣٩.

(٥) سورة آل عمران، الآية رقم ١٥٣.

(٦) سورة الأنعام، الآية رقم ٢٣.

(٧) سورة التوبة، الآية رقم ٤٠.

(٨) سورة التوبة، الآية رقم ٩٢.

(٩) سورة يونس، الآية رقم ٦٥.

(١٠) سورة الحجر، الآية رقم ٨٨.

(١١) سورة يوسف، الآية رقم ٨٨.

- ١٦- قوله تعالى: (لا يَخْرُجُ مِنْكُمْ الْكُفْرُ وَتَلْقَاهُمْ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمَ كُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ) (٢٠).
- ١٧- قوله تعالى: (وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجِيوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ) (٣١).
- ١٨- قوله تعالى: (وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزِنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ) (٣٢).
- ١٩- قوله تعالى: (فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنْ وَلَنَعْلَمَنَّ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) (٣٣).
- ٢٠- قوله تعالى: (وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَخْرُجُ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) (٣٤).
- ٢١- قوله تعالى: (تَرْجِي مَنْ تَشَاءُ مَبْتَهًى وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنْ ابْتَغَيْتِ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَخْرُجَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلَّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا) (٣٥).
- ٢٢- قوله تعالى: (وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ) (٣٦).
- ٢٣- قوله تعالى: (فَلَا يَخْرُجُ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يَسْرُونَ وَمَا يَعْلَمُونَ) (٣٧).
- ٢٤- قوله تعالى: (وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمِيقَاتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمْ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (٣٨).
- ٢٥- قوله تعالى: (يَا عِبَادِ لَا خَوْفَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ) (٣٩).
- ٢٦- قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ) (٤٠).
- ٢٧- قوله تعالى: (إِنَّمَا السُّجُودُ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزَنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) (٤١) ﴿ المجادلة : ١٠ ﴾
- وهذا دليل على أنه ينبغي للمؤمن ألا يحزن أبداً ما دامت رحمة الله وسعت كل شيء.

(١) سورة النحل، الآية رقم ١٢٧.

(٢) سورة الأنبياء، الآية ١٠٢.

(٣) سورة العنكبوت، الآية رقم ٣٣.

(٤) سورة القصص، الآية رقم ٧.

(٥) سورة القصص، الآية رقم ١٣.

(٦) سورة لقمان، الآية رقم ٢٣.

(٧) سورة الأحزاب، الآية رقم ٥١.

(٨) سورة الفاطر، الآية رقم ٣٣.

(٩) سورة يس، الآية رقم ٧٦.

(١٠) سورة الزمر، الآية رقم ٦١.

(١١) سورة الزخرف، الآية رقم ٦٨.

(١٢) سورة فصلت، الآية رقم ٢٠.

(١٣) سورة المجادلة، الآية رقم ١٠.

ثانيا- علاج الاكتئاب:

يقول علماء النفس: إن أفضل طريقة لعلاج الكثير من الأمراض النفسية وبخاصة الاكتئاب أن تكون ثقتك بالشفاء عالية جداً، حتى تصبح على يقين تام بأنك ستتحسن، وسوف تتحسن بالفعل. وقد حاول العلماء إيجاد طرق لزرع الثقة في نفوس مرضاهم، ولكن لم يجدوا إلا طريقة واحدة فعالة وهي أن يزرعوا الثقة بالطبيب المعالج(٣٢).

فالمريض الذي يثق بطبيبه ثقة تامة، سوف يحصل على نتائج أفضل بكثير من ذلك المريض الذي لا يثق بطبيبه^(٣٣) وهذا ما فعله القرآن مع فارق واحد وهو أن الطبيب في القرآن هو الله سبحانه وتعالى!!! بقوله تعالى: (وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بَضْرًا فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)^{(٣٤)(٣٥)}

ثالثا- علاج الإحباط:

ما أكثر الأحداث والمشاكل التي تعصف بإنسان اليوم، فتجد أنواعاً من الإحباط تتسرب إليه نتيجة عدم تحقق ما يطمح إليه. فالإحباط هو حالة يمر فيها الإنسان عندما يفشل في تحقيق عمل ما، في حال زاد الإحباط عن حدود معينة ينقلب إلى مرض صعب العلاج^(٣٦). فيجب على المسلم أن يتظاهر بالفرح وأن يستسلم نفسه لقدرها وينسى همومه ويعيش في حالة من التأمل والروحانية(٣٧) وهذا ما أمرنا القرآن به بقوله تعالى: (وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ)^(٣٨).

وقال تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ)^(٣٩)

رابعا- علاج الانفعالات:

والانفعال هو السبب الرئيسي في الكثير من أمراض القلب وضغط الدم والتوتر النفسي. ولكن كيف يقترح العلماء علاج هذه المشكلة التي هي من أصعب المشاكل التي يعاني منها كل إنسان تقريباً؟ إنهم يؤكدون على أهمية التأمل والاسترخاء ويؤدون أحياناً على أهمية الابتعاد عن مصدر الغضب والانفعالات، وبعض الباحثين يرى أن علاج الغضب يكون بالتدريب على ألا تغضب(٤٠)

(٣٢)

(٣٣)

(٣٤) سورة يونس ، الآية رقم ١٠٧

(٣٥) ينظر: تفسير الماوردي = النكت والعيون، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ) المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، ج٤ص٣٠١.

(٣٦) ينظر: الحاوي في تفسير القرآن الكريم، ويسمى (جنة المشتاق في تفسير كلام الملك الخلاق) العاجز الفقير عبد الرحمن بن

منعمد القماش، إمام وخطيب مسجد بوزسلى - رأس الخيمة، دولة الإمارات العربية المتحدة، ج٤٦٣ص٣٢٩

(٣٧) ينظر: الحاوي في تفسير القرآن الكريم، ويسمى (جنة المشتاق في تفسير كلام الملك الخلاق) العاجز الفقير عبد الرحمن بن

منعمد القماش، إمام وخطيب مسجد بوزسلى - رأس الخيمة، دولة الإمارات العربية المتحدة، ج٤٦٣ص٣٢٩

(٣٨) سورة لقمان، الآية رقم ٢٢

(٣٩) سورة الرعد، الآية رقم ٢٨.

(٤٠) ينظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، المؤلف: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي

الصوفي (المتوفى: ١٢٢٤هـ)، المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان

ولكننا نجد كتاب الله تعالى قد سبق هؤلاء العلماء إلى الحديث عن علاج لهذه المشكلة. فكل إنسان يغضب تتسرع دقات قلبه ويزداد ضغط الدم لديه، ولذلك يؤكد القرآن على أهمية أن تجعل قلبك مرتاحاً ومطمئناً وتبعد عنه أي قلق أو توتر أو تسرع في دقاته أو ازدياد في كمية الدم التي يضخها القلب. ولكن كيف نحصل على هذا الاطمئنان؟^(٤١)

إنه أمر بغاية السهولة، فمهما كنت منفعلاً أو غاضباً أو متوتراً يكفي أن تذكر الله وتستحضر عظمة الخالق تبارك وتعالى فتستصغر بذلك الشيء الذي انضغلت لأجله، ولذلك يقول تعالى عن صفة مهمة يجب أن يتحلّى بها كل مؤمن: (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ)^(٤٢)

خامساً- علاج حالات اليأس وفقدان الأمل:

هنالك مشاكل يعتقد الكثير من الناس أنها غير قابلة للحل، وأهمها المشاكل الاقتصادية والمادية، وهذه المشاكل يعاني منها معظم الناس وتسبب الكثير من الإحباط والتوتر والخوف من المستقبل. ولو سألنا أكبر علماء النفس والبرمجة اللغوية العصبية عن أفضل علاج لهذه المشكلة نجدهم يجمعون على شيء واحد وهو الأمل^(٤٣) إن فقدان الأمل يسبب الكثير من الأمراض أهمها الإحباط، بالإضافة إلى أن فقدان الأمل سيعطل أي نجاح محتمل أمامك. فكم من إنسان فشل عدة مرات ثم كانت هذه التجارب الفاشلة سبباً في تجربة ناجحة عوضته عما سبق، لأنه لم يفقد الأمل من حل المشكلة، وكم من إنسان عانى من الفقر طويلاً ولكنه بقي يعتقد بأن هذه المشكلة قابلة للحل، فتحقق الحل بالفعل وأصبح من الأغنياء بسبب أساسي وهو الأمل.

إن ما يتحدث عنه العلماء اليوم من ضرورة التمسك بالأمل وعدم اليأس هو ما حدثنا القرآن عنه بل وأمرنا به، والعجيب أن القرآن جعل من اليأس كفرًا!^(٤٤) وذلك ليبعدنا عن أي يأس أو فقدان للأمل، ولذلك يقول سبحانه وتعالى على لسان يعقوب عليه السلام لأولاده: (يَابُنِيْ اذْهَبُوا فَتَحَسَّنُوا مِنْ يُّوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ)^(٤٥).

التصورات الخاطئة عن الثقة بالنفس:

الثقة بالنفس لا تعارض الثقة بالله، لأنه لا تعارض بين الثقة بالنفس و الاعتماد على الله عز وجل، والتوجه إليه في طلب الحاجات ودفع المكروهات، الثقة بالنفس لا تعني الاعتماد على النفس و الركون إلى قدرتها و الاعتداد بها دون الالتجاء إلى الله تعالى، بل إن من الثقة بالنفس إحسان الظن بالله تعالى و الاعتماد عليه دون تواكل، الذي

الناشر: الدكتور حسن عباس زكي - القاهرة، الطبعة: ١٤١٩ هـ، ج٢ ص٢٦٤

(٤١) ينظر: التحرير والتنوير. تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، المؤلف: محمد الطاهر بن محمد

بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ، ٩ ص٢٥٦

(٤٢) سورة الرعد، الآية رقم ٢٨.

(٤٣) ينظر: الحاوي في تفسير القرآن الكريم، ويسمى (جنة المشتاق في تفسير كلام الملك الخلاق) العاجز الفقير عبد الرحمن بن

منعم القماش، إمام وخطيب مسجد بوزسلى - رأس الخيمة، دولة الإمارات العربية المتحدة، ج٤٦٣ ص٣٣٩.

(٤٤) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، المؤلف: مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الناشر: الهيئة

العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة: الأولى، (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م) - (١٤١٤ هـ = ١٩٩٣ م) ج٥ ص٣٧٣.

(٤٥)

يتعارض مع الثقة بالله تعالى الإفراط في الاعتداد بالنفس و تفضيلها على الغير كما قال إبليس { قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّمَّنْ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ }^(٤٦) ، أو كما قال فرعون { أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ }^(٤٧) أو كما قال قارون { قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي }^(٤٨) .

و كل من سار على هذا الدرب ممن يعتد بنفسه اعتداداً زائداً زائفاً هذا هو الذي يتعارض من الثقة بالله أما الثقة السليمة بالنفس فلا تعارض الثقة بالله ، لان الواثق بنفسه ينسب الفضل لأهله و النعم لربه تعالى^(٤٩)

٢- البعض يرى أن الثقة بالنفس الإصرار على الرأي و العناد و التحدي و لو كان على خطأ ، الثقة بالنفس إذا علمت أنك مخطئ فيجب أن تراجع ، فهذا رسول الله صلى الله

عليه وسلم في غزوة بدر يغير موقع المعسكر ويأخذ برأي الصحابي بعدما اتضح له صوابه^(٥٠) ووفي غزوة تبوك يأخذ برأي عمر رضي الله عنه في ترك نحر الأبل النواضح والقيام بدلا عنه بالاشترك في فضل الزاد^(٥١) .

٣- البعض يرى أن الثقة بالنفس أن تسيطر على الآخرين و تتحكم بهم و تسيروهم كما تريد. و هؤلاء في الغالب مشاكسون في تعاملهم مع الآخرين لا يطيعون كثيري العناد لأنهم يتصورون أن التعامل مع الآخرين و التنازل لهم في بعض المواقف يتصورون أن هذا من ضعف الثقة بالنفس؛ لذلك فهم يتسلطون على من يبدي لهم التنازلات و يتهاون معهم و يلين لهم و يصعدون على أكتافهم^(٥٢) ولكن الله تعالى يصف الشخصية المؤمنة القوية بأنه بأنه يمشي هونا على الناس حيث يقول: (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا)^(٥٣) .

٣- البعض يرى أن الثقة بالنفس تعني الجراءة في المباشرة و التعاضم و التعالي و الكبر و العجب بالنفس أو الممتلكات أو الإنجازات، ولكن الرسول عليه الصلاة والسلام رد هذا الاعتبار بل جعل التحكم للذات في مثل هذه المواضيع سمة للشخصية القوية كما روى مالك عن الزهري عن سعيد ابن المسيب عن أبي هريرة، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (ليس الشديد بالصرعة، ولكن الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب)^(٥٤) .

(٤٦) سورة ص، الآية رقم ٧٦.

(٤٧) سورة الزخرف، الآية رقم ٥٢.

(٤٨) سورة القصص، الآية رقم ٧٨.

(٤٩) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٢هـ) الناشر: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت - لبنان، ج٩ ص١٥٦.

(٥٠) أخرجه الحكم في المستدرک على الصحيحين، المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ) تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ - ١٩٩٠ ج٣ ص٤٨٢، تحت الرقم: (٥٨٠١)

(٥١) أخرجه مالك في الموطأ ، المؤلف: مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: ١٧٩هـ)

المحقق: بشار عواد معروف - محمود خليل، الناشر: مؤسسة الرسالة، سنة النشر: ١٤١٢ هـ، ج١ ص٢٧٠، تحت الرقم: (٦٩٠).

(٥٢) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، المؤلف: مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الناشر: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، الطبعة: الأولى، (١٣٩٢ هـ = ١٩٧٣ م) - (١٤١٤ هـ = ١٩٩٢ م)، ج٦ ص١٤٧٩.

(٥٣) سورة الفرقان، الآية رقم ٦٢.

(٥٤)

آثار الثقة السليمة بالنفس:

١- الارتياح النفس و الطمأنينة و السعادة:

الواثق من نفسه مطمئن بما أعطاه الله تعالى و بما لم يعطه يشكر الله على ما انعم عليه به , و يتعرف بالفضل لله ويسأله المزيد و لا يحقر نفسه و لا يذلها للناس فتصيبه المهانة, أيضاً لا يرفع نفسه فوق منزلتها أو يتعالى على الناس فيصيبه القلق و التوتر قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (١٥٣) وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمواتٌ بَلْ أحياءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ (١٥٤) وَلَتَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧) } (٥٥). وقال الرسول صلى الله عليه و سلم : (ارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس)^(٥٦)

٢- النجاح في مجالات الحياة , العلمية و المهنية و الاجتماعية:

كلما كان الشخص واثقاً من نفسه ثقة سليمة كانت علاقته مع الآخرين جيدة و مستقرة علاقات يسودها الاحترام المتبادل يقدر الناس و هم يقدرونه و يحب الناس و يحبونه.

قال الرسول صلى الله عليه و سلم : (اكمل المؤمنين إيماناً أحاسنهم أخلاقاً , الموطئون أكتافاً , الذين يألفون ويؤلفون , ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف)^(٥٧)

٣- القدرة على تطوير الذات و تنمية المهارات:

كلما زادت الثقة أستطاع الشخص أن يفتح على المحيط من حوله بنضح ووعي و أن يأخذ الفائدة ممن حوله و يضيفها إلى رصيده, بعكس ضعيف الثقة فهو منغلق ولا يفتح على المحيط , و بعكس صاحب الثقة الزائفة فهو يتعالى على من حوله و لا يأخذ منهم الفائدة.

روي سفيان بن عيينة، عن ابن عجلان، عن الأعرج عن أبي هريرة يبلغ به النبي - صلى الله عليه وسلم -، قال: (المؤمن القوي خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلِّ خيرٍ، احرص على ما ينفعك ولا تعجز، فإن غلبك أمرٌ، فقل: قدر الله، وما شاء فعل، وإياك واللؤ، فإن اللؤ تفتح عمل الشيطان)^(٥٨)

٤- القدرة على التعامل مع الأزمات و المشكلات و الصعاب:

مواجهة الأزمات و المشكلات و الصعاب بأساليب ملائمة و مقبولة من خلال تقدير حجم المشكلة جيداً و تقدير أبعادها دون مبالغة في تضخيم أو تصغير و من خلال العدة المناسبة للمواجه بالأسلوب و الاستعداد الحسن و

(٥٥) سورة البقرة، من آية ١٥٣ إلى ١٥٧.

(٥٦) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى:

٣٦٠هـ)، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد , عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين - القاهرة، ج٧ص١٢٥.

والتزمي في الجامع الكبير - سنن الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى:

٢٧٩هـ) المحقق: بشار عواد معروف

الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت، سنة النشر: ١٩٩٨ م، ج٤ص١٢٧. تحت الرقم: (٢٣٠٥)

(^{٥٧}) أخرجه الطبراني في الجامع الكبير - سنن الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى

(المتوفى: ٢٧٩هـ)، المحقق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت، سنة النشر: ١٩٩٨ م، ج٤ص٢٥٦، تحت الرقم: (٤٤٢).

(^{٥٨}) أخرجه ابن ماجة في سننه ، في باب: في القدر، ج٥٨، تحت الرقم: (٧٩).

بقوة التحمل لتبعات.

قال تعالى: (أَحْسِبُ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ)^(٥٩)

المطلب الثاني : الايمان بقضاء الله وعدم التأثر بالحوادث

إن نظرة الإنسان إلى الحياة والكون ومفاهيمه في شتى المجالات بل وحتى عواطفه وأحاسيسه كلها تدور حول محور العقيدة التي يتبناها ، والتي تسهم في بنائه الفكري والأخلاقي والاجتماعي ، وتوجيه طاقاته نحو البناء والتغيير . وإذا كانت المدارس الوضعية قد حققت بعض النجاح في ميادين الحضارة المادية ، فقد أثبتت فشلها الذريع في تلبية حاجة الفرد لحياة كريمة حرة من قيود الابتذال والفجور ، فكان التفسخ الأخلاقي والانحدار الخلقي والتفكك الأسري والفراغ العقائدي ، هو أبرز معطيات الحضارة المادية التي صنعها الإنسان على صعيد الحياة الفكرية والشخصية والاجتماعية.

ولقد اقتضت حكمة الخالق تعالى أن يرشد الإنسان إلى الجذور والأصول التي يستقي منها معارفه وينهل منها حقائق هذا الوجود ليصل من خلالها إلى المعتقدات الصحيحة السليمة من الشوائب والبعيدة عن الانحراف بعد أن منحه تعالى الفطرة الصافية مشعلاً يهديه إلى النور ، نور العقيدة الإسلامية الحقة الذي أضاء بسناه ما حوله . ومتى ما حكم الإنسان عقله يرى أن العقيدة الإسلامية تشكل نظاماً متكاملًا للحياة البشرية بمختلف أطوارها ويرسم الطريق لكل جوانبها وينسجم مع الفطرة الإنسانية ويضمن تحقق حاجات الفرد الروحية ورغباته المادية بشكل متوازن ودقيق ، وبما يضمن كرامته وشخصيته.

وعلى قواعد هذه العقيدة يقوم بناء الشخصية ، شخصية الفرد والمجتمع والدولة الإسلامية ، وتنظم العلائق والروابط ، وتحدد الحقوق والواجبات ، وتتحقق العدالة والمساواة ، ويستتب الأمن والسلام ، وينشأ التكافل والتضامن ، وتزدهر الفضائل والمكارم ، ويبنى الإنسان على كافة الأصعدة.

فعلى الصعيد الفكري أخرجت العقيدة الإسلامية الإنسان من عالم الخرافات والجهل لتأخذ بيده إلى دنيا العلم والنور ، محفزة الطاقات الكامنة فيه للتأمل والاعتبار بآيات الله ودلائله ، وبذلك فقد نبذت التقليد في الاعتقاد وربطت بين العلم والإيمان، قال تعالى: (يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)^(٦٠)

وعلى الصعيد الاجتماعي استطاعت العقيدة الإسلامية أن تسمو بالروابط الاجتماعية من أسس العصبية القبلية واللون والمال إلى دعائم معنوية تتمثل بالتقوى والفضيلة والإخاء الإنساني ، فشكل المسلمون خير أمة أخرجت للناس بعد أن كانوا جماعات متفرقة متناحرة، قال تعالى

(: كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ

لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّمَّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ)^(٦١)

وعلى الصعيد الأخلاقي نجحت العقيدة الإسلامية في تنمية الوازع الذاتي القائم على أساس الإيمان برقابة الخالق جلَّ وعلا لكل حركات الإنسان وسكناته وما يستتبع ذلك من ثواب وعقاب ، الأمر الذي أدى إلى تعديل الغرائز وتنمية شجرة الأخلاق الفاضلة وجعلها عنصراً مشتركاً في جميع الأحكام الإسلامية قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ

(٥٩) سورة العنكبوت ، الآية رقم ٢

(٦٠) سورة المائدة، الآية رقم ١٦.

(٦١) سورة آل عمران، الآية رقم ١١٠.

اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا^(١٢)

كما أسهمت العقيدة الإسلامية في بناء المجتمع اقتصاديا وسياسيا وتربويا ، وبذلك فهي تمثل عنصر القوة في تاريخ الحضارة الإسلامية.

فأجل النهوض بالإنسان المسلم من حالة الضعف الروحي والانزلاق في مهاوي المادية ومغرياتها ، لا بد من تذكيره بمعطيات تلك العقيدة ، وترسيخ قناعاته بقوتها وصلاحتها لكل العصور بلغة معاصرة ، وبشكل يتناسب مع مقتضيات العصر الحديث ، والتحليل الفكري.

أكثر ما يهم الإنسان في الحياة هو أن يعرف حقيقة مبدئه ومعاده ، والغاية من وجوده ، ومن أين جاء ، وإلى أين ينتهي ، ولماذا وجد؟

هذه الأسئلة التي يطرحها الإنسان على نفسه على الدوام ، تحتاج إلى إجابات شافية ، لكي يتخذ الإنسان على ضوئها موقفا من الحياة ، يحدد سلوكه ، ويقيم لمجتمعه نظاما صالحا يرتضيه.

ولقد فشلت العقائد الوضعية في الاجابة على استفهامات الإنسان المتعلقة بمبدئه ومعاده ، وميرر وجوده ؛ مرة من خلال الادعاء بأن الانسان وجد صدفة! ومرة أخرى من خلال الزعم بأنه وجد نتيجة لتطور المادة!! .. وما إلى ذلك من تفسيرات واهية لا تسمن ولا تغني من جوع الإنسان وتعطشه الأبدي لمعرفة الحقيقة قال تعالى: (أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاءً فَمَنْ يَهْتَدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ)^(١٣).

وليس هذا فحسب ، بل فشلت أيضا في رسم معالم النظام الاجتماعي الذي يصلح الانسان ويحقق سعادته. وبينما أجابت العقائد الدينية المحرّفة إجابات باهتة ومشوهة ، عندما أقرت من حيث المبدأ بوجود الخالق ولكن شبهته بخلقه ، كما فشلت في تحديد النظام الأصح للبشرية ، أجابت العقيدة الإسلامية عن كل ذلك بمنتهى الصدق والعمق ، عندما أعلنت أن للإنسان خالقا حكيما قادرا ، قال تعالى: (وَلَقَدْ جِئْتَهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)^(١٤)

وترتكز نظرة العقيدة الإسلامية على كون الإنسان موجودا مكرّما : (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الرِّبِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا)^(١٥)

فهو خليفة الله في الأرض ، يمتلك العوامل التي تؤهله للسمو والارتفاع إلى مراتب عالية : (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)^(١٦) . كما أن بإمكان الإنسان أن ينحط ويتسافل حتى يصل إلى مرتبة الحيوانية : (... أَخْلَقْنَا إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبِعْ هَوَاهُ فَمَثَلَةٌ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرَكْهُ يَلْهَثْ ..)^(١٧) .

ثم يتسافل أكثر فأكثر حتى يصل إلى مرتبة الجماد : (ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ..)^(١٨) .

(١٢) سورة النساء الآية رقم ١.

(١٣) سورة الجاثية ، الآية رقم ٢٣.

(١٤) سورة الأعراف، الآية رقم ٥٢.

(١٥) سورة الاسراء، الآية رقم ٧٠.

وعليه فالعقيدة الإسلامية تراعي في الانسان عوامل القوة والضعف معا ، فقد وُصف الإنسان في الكتاب الكريم بأنه خلق ضعيفا هلوعا عجولاً ، وأنه يطغى ، وأنه كان ظلوما جهولاً^(٦٦) وعلى هذا الأساس لا تحاول الشريعة إرهابه بتكاليف شاقة ، تفوق طاقاته وقدراته النفسية والبدنية^(٦٧) قال تعالى : (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ..)^(٦٨)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رُفِعَ عن أمتي تسعة : الخطأ ، والنسيان ، وما أكرهوا عليه ، وما لا يعلمون ، وما لا يطيقون ، وما اضطروا إليه ، والحسد ، والطيرة ، والتفكر في الوسوسة في الخلق ما لم ينطق بشفة ،^(٦٩) وقال صلى الله عليه وسلم: « رُفِعَ القلم عن ثلاثة : عن المجنون المغلوب على عقله حتى يبرأ ، وعن النائم حتى يستيقظ ، وعن الصبي حتى يحتلم ،^(٧٠) .

المطلب الثالث: عدم الخوف من المستقبل:

هنالك مشكلة يعاني منها كل واحد منا تقريباً وهي الخوف من "المستقبل المادي" إن صح التعبير، وهي أن يخاف أحدنا أن يفصل من وظيفته فيجد نفسه فجأة دون أي راتب أو مال. أو يخاف أحدنا أن يخسر ما لديه من أموال فينقلب من الغنى إلى الفقر، أو يخشى أحدنا أن تتناقص الأموال بين يديه بسبب ارتفاع الأسعار أو نقصان الرزق أو الخسارة في تجارة ما وهكذا^(٧٠)

إن الله خلق العباد وتكفل بأرزاقهم، قال: (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون. ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون. إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين^(٧١)). وقد أخبر الصادق المصدوق أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها وإن من الخلل بين العقيدة أن يخاف المرء الرزق، والله هو الرزاق، حيث قال: ((إن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها ، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ، حذوا ما حل ودعوا ما حرم))^(٧٢)

كما أمره الله (هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور)^(٧٣) وقال: فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله)^(٧٤)

(٦٦) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، المؤلف: محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة: الأولى، ص ٩٩

(٦٧) ينظر: البحر المحيط في التفسير، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: ١٤٢٠هـ، ج ٢، ص ٥٠١.

(٦٨) سورة البقرة، الآية رقم ٢٣٣.

(٦٩) أخرجه الطبراني (٩٧/٢ ، رقم ١٤٣٠) قال الهيثمي (٢٥٠/٦) : فيه يزيد بن ربيعة الرحبي وهو ضعيف . وأخرجه أيضا : الطبراني في الشاميين (١٥٢/٢ ، رقم ١٠٩٠)

(٧٠) سورة الطور، من آية ٥٦ إلى ٥٨

(٧٢) أخرجه ابن ماجة في سننه، المؤلف: ابن ماجة - وماجة اسم أبيه يزيد - أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٢هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد - محمد كامل قره بللي - عبد اللطيف حرز الله، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٩ م، ج ٣، ص ٢٧٥، تحت الرقم: (٢١٤٤) والحاكم في المستدرک، ج ٢، ص ٥، تحت الرقم: (٢١٣٥).

(٧٣) سورة الملك، الآية رقم ١٥

(٧٤) سورة الجمعة، الآية رقم ١٠.

والإسلام عالج هذه القضية من جوانب شتى:

أولاً: أن المستقبل بيد الله وهو خالق هذا الكون وعالم بأسراره ومدبر أموره، فهو الضامن للحياة والأرزاق والأمن وجميع مقومات الحياة، قال تعالى: (وفي السماء رزقكم وما توعدون)(٧٥) وقال في آية أخرى (وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها)^(٧٦) فإذا علم العبد أن رزقه بيد خالقه، واطمأن قلبه لذلك، ارتاحت نفسه وانشرح صدره.

ثانياً: الإيمان بالقضاء والقدر، وهذه عقيدة مستقرة في داخل قلب المؤمن وان كل ما يجري فهو بقضاء الله وقدره. ثالثاً: ان الدنيا ليست بدار قرار ولا مقام حياة وأن متاعها زائل وأنها لا قيمة لها، وإنما يفرح بها ويطمئن إليها من لا هم له. وإلا فالحياة هي حياة الآخرة، فهي حياة الفوز والسعادة واللذة لن وفق لذلك. إنها حياة تفوز فيها بالنظر إلى وجه الله الكريم، قال تعالى وتدبر هذه الآيات: (كلأ بل تحبون العاجلة. وتذرون الآخرة. وجوه يومئذ ناضرة. إلى ربها ناظرة)^(٧٧) فكيف يترك العاقل الآخرة التي فيها لذة النظر إلى وجه الله الكريم لدنيا لا خير فيها . وقال تعالى في آية أخرى: (وان النار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون)^(٧٨)

قال الرسول صلى الله عليه وسلم : «ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما عند الناس يحبك الناس»^(٧٩) رابعاً: ان الإسلام دعا للعمل وحث على المحبة ونهى عن العجز والكسل قال الرسول عليه الصلاة والسلام: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعك، ولا تعجز ولا تقل لو أني فعلت كذا لكان كذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان»^(٨٠) فالإسلام دعا إلى العمل ورغب به وأباح الله لنا الطيبات وجعل السفر من أجل البيع والشراء وطلب الرزق عبادة يؤجر عليها صاحبها قال تعالى: (فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه التمشور)^(٨١)

والحياة الحقيقية هي حياة الأرواح حياة النفوس، فالصحابه لما ارتاحت أنفسهم واطمأنت قلوبهم ناموا في

^(٧٥) سورة الذاريات، الآية رقم ٢٢.

^(٧٦) سورة هود، الآية رقم ٦.

^(٧٧) سورة القيامة، الآية رقم ٢٠

^(٧٨) سورة العنكبوت، من الآية رقم ٦٤

^(٧٩) أخرجه ابن ماجه في سننه، ج٥ص٢٢٥، تحت الرقم: (٤١٠٢) و أخرجه أبو عبيد القاسم بن سلام في "المواعظ" (١٣١)، وابن حبان في "روضة العقلاء" ص ١٤١، والطبراني (٥٩٧٢)، والقضاعي في "مسند الشهاب" (٦٤٣)، وأبو نعيم في "الحلية" ٣ / ٢٥٢ - ٢٥٣ و ١٣٦ / ٧، وفي "تاريخ أصبهان" ٢ / ٢٤٤ - ٢٤٥، وابن عدي في ترجمة خالد بن عمرو من "الكامل" ٣ / ٩٠٢، والعقيلي في ترجمته من "الضعفاء" ٢ / ١١، والحاكم ٤ / ٣١٣ من طريق خالد بن عمرو، بهذا الإسناد. وقال الحاكم: حديث صحيح الإسناد، وتعقبه الذهبي بقوله: خالد وضاع. وفي الباب عن ربعي بن حراش مرسلًا عند أبي سليمان بن زبير الدمشقي في "مسند إبراهيم بن أدهم" ص ٢٩ - ٣٠، ورجاله ثقات. ورواه أبو نعيم في "الحلية" ٨ / ٤١ من طريق إبراهيم بن أدهم، عن منصور، عن مجاهد، عن أنس. وقال: ذكر أنس في هذا الحديث وهم، ثم رواه من طريق ابن أدهم، عن منصور، عن مجاهد مرسلًا. وانظر "جامع العلوم والحكم" لابن رجب ٢ / ١٧٤ - ١٧٧، وفيه تعليل طريقه عن سفيان الثوري.

^(٨٠) أخرجه ابن حبان في صحيحه، ج١٣ص٢٨، تحت الرقم: (٥٧٢١)، وقال: حديث صحيح، إسناده حسن على شرط مسلم، عبد الرحمن بن إسحاق وهو ابن عبد الله بن الحارث المدني - فيه كلام ينزله عن رتبة الصحيح، وباقي رجاله ثقات من رجال الشيخين. نصر بن علي: هو ابن نصر الجهضمي. وقد تقدم برقم "٣٣٧٩".

^(٨١) سورة الملك، الآية رقم ١٥.

المعركة قال تعالى: (إِذْ يُغَشِّيكُمُ التُّعَاسُ أُمَّتَةً مِنْهُ) ^(٨٢)، والمنافقون كما لم يؤمنوا ولم يعرفوا الأمر على حقيقته ماتوا بغمهم وغيظهم وخبث قلوبهم، فقتلوا أنفسهم قبل موتها وأحرقوها قبل حرقها بالنار قال تعالى: (فَلْ لِن يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تَمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا) ^(٨٣).

وأما هذا الخوف والوجل الذي يوجد لدى البعض، فمرده في الغالب عدة أمور أهمها:

١ - ضعف الإيمان، وبالتالي ضعف الثقة بموعد الله سبحانه وأنه تكفل بأرزاق العباد.

٢ - ضعف التوكل على الله المترتب على ضعف الإيمان.

٣ - الاستسلام لهزات الشيطان ووساوسه وكان الواجب عليه طرده والاعتماد على الله، فالشيطان ضعيف

وكيده ضعيف (إن كيد الشيطان كان ضعيفا) ^(٨٤)، لكن إذا استسلم له المرء وسلم الأمر له غلبه الشيطان.

٤ - التأثير بما يقال ويردد في بعض وسائل الإعلام لا سيما من بعض الجهلة وربما ضعاف الإيمان، الذين جعلوا

أمر الرزق مشكلة من أعقد المشكلات لأنهم اعتمدوا على أنفسهم وعلى الأسباب دون اللجوء لسبب الأسباب سبحانه، فلم يعتمدوا عليه ولم يسألوه أو يرجوه، فهذا سمع مقالة جاهل فتعلق بها فحصل له ما حصل من الخوف ولو

رجع إلى كتاب الله وسنة رسول لوجد الدواء الشافي ولعلم أن الثقة بالله كفيلا بإزالة ما يخاف وبالله التوفيق.

المطلب الرابع: تحكم الذات:

زود الله سبحانه وتعالى الإنسان بانفعالات تعينه على الحياة والبقاء، فهي تساعد على مقاومة المواقف

الخطرة، أو الهروب منها، أو مواصلة البذل والجهد للحصول على الشيء الذي يحتاجه.

إن الانفعالات الإنسانية تمثل القلب بالنسبة للعقل وهي ضرورية لكل أحد للحفاظ على قدرته لأداء مهامه

وأدواره في الحياة بشكل سليم، وهي تعبر عن أفكار الشخص تنشط و تندفع بسلوكه، وقراراته غالبا ما تتخذ على

مستوى انفعالي، فالانفعالات تقوم مشاركة مع الدافع بتوجيه السلوك (٨٥).

إن الحفاظ على مستوى معين من الانفعالات مطلب ملح لحياة متزنة سعيدة، فإن اختلت وخرجت عن

وضعها الطبيعي زيادة أو نقصا كان الاضطراب وقد يكون المرض النفسي، فمثلا الخوف الطبيعي انفعال ضروري

لدينامية الشخصية وفعاليتها فإن زاد عن حده الطبيعي كان الخوف مرضا، والحزن قد يستفحل ويؤدي إلى

الاكتئاب والفرح الزائد عن حده الطبيعي قد يؤدي إلى مرض الهذاء (٨٦).

وجد الباحثون أن الناس الرحماء هم أكثر الناس بعدا عن الاكتئاب والإحباط واليأس. ومن هنا ندرك أهمية

قوله تعالى عن القرآن: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ

(٨٢) سورة الأنفال، من آية رقم ١١.

(٨٣) سورة الأحزاب، الآية رقم ١٦.

(٨٤) سورة النساء، الآية رقم ٧٦.

(٨٥) ينظر: التفسير الحديث ﴿مرتب حسب ترتيب النزول﴾، المؤلف: دروزة محمد عزت، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - القاهرة،

الطبعة: ١٣٨٢ هـ، ج٢ ص٥٥٧.

(٨٦) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، المؤلف: مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الناشر: الهيئة

العامة لشئون المطابع الأميرية، طبعة: الأولى، (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م) - (١٤١٤ هـ = ١٩٩٣ م) ج٤ ص١١٤.

لِلْمُؤْمِنِينَ * قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ^(٨٧). فلننظر كيف تكررت الرحمة مرتين ، لتؤكد لنا أن الذي

يرضى بالقرآن شفاء فإن رحمة الله ستكون وسيلة لسعادته وفرحه ، فلا يحزن بعدها أبداً^(٨٨).

فعلى الإنسان تنظيم حياته الانفعالية تنظيماً يساهم في تحقيق صحته النفسية وعليه عدم المغالاة والإسراف في الانفعال بدون مبرر أو فيما لا يتناسب مع الموقف المعاش ، ولهذا التنظيم سنحاول عرض خطوات علمية من خلال علم النفس ثم من خلال القرآن الكريم:
أولاً- خطوات علمية وعملية لعلاج الانفعال المزمن:

١- علماء النفس يؤكدون على أن هنالك خطوة أساسية يجب القيام بها لمعالجة الانفعالات، وهي الاعتراف بالخلل أو المرض. فالانفعال النفسي عندما يتطور فإنه يتحول إلى مرض يلزم المريض طيلة حياته، ولا يبدأ هذا المرض بالشفاء حتى يعترف المريض بأن هذا المرض موجود وأنه يجب عليه أن يسارع إلى علاجه^(٨٩). وهذه حقيقة علمية وليست رأياً لعالم نفس أو نظرية تخطئ وتصيب، وذلك لأن جميع العلماء يؤكدون هذه الحقيقة، أي حقيقة أن يخاطب الإنسان نفسه بعد الانفعال مباشرة ويحاول أن يعترف أمام نفسه بأنه قد تسرع وأخطأ بهذا الانفعال. وهذه هي الخطوة الأهم في علاج الانفعال^(٩٠).

٢- الخطوة الثانية وهي مهمة ومكتملة للأولى وهي أن يحاول أن يعطي لعقله الباطن رسائل تقول له: " يجب علي أن أتوقف عن هذه الانفعالات لأنها خاطئة وتؤدي إلى نتائج غير مرغوبة وتسبب لي كثيراً من الاحراج ". وهذه الرسالة يجب عليه أن يكررها ويقتنع بها، بكلمة أخرى يجب أن ينوي على عدم العودة لمثل هذه الانفعالات التي يظلم بها نفسه^(٩١).

٣- هنالك إجراء عملي يجب على "الانفعالي" أن يبدأ بتطبيقه على الفور وهو التسامح مع الآخرين. فقد أظهرت الدراسات أن أطول الناس أعماراً هم أكثرهم تسامحاً!!! إذن يجب عليك أن تمتلك القدرة على التسامح والعفو عن أساء إليك أو أزعجك. إذ أنك بدون هذه الخطوة لن تتحسن وستبقى الانفعالات مسيطرة عليك. كما يؤكد الباحثون اليوم بأن إنفاق بعض الأموال على الفقراء ومساعدتهم تكسب الإنسان شيئاً من الاستقرار والاطمئنان، وتعالج لدية حدة الانفعالات.

إن العفو أو التسامح أمر ضروري ومهم لأنه يعالج الخلل من جذوره، فالسبب الكامن وراء أي انفعال هو إحساس هذا المنفعل بأن الآخرين قد أساؤوا له وبالتالي يحاول الانفعال كرد فعل انتقامي منهم. فإذا قرر أن يرسل أيضاً إلى ذاته رسائل يؤكد من خلالها أنه سوف يتسامح مع الآخرين وكرر هذه الرسائل فإنه سيجد نفسه متسامحاً بالفعل!^(٩٢)

^(٨٧) سورة يونس، الآية رقم ٥٧-٥٨

^(٨٨) الحاوي في تفسير القرآن الكريم، ويسمى (جنة المشتاق في تفسير كلام الملك الخلاق) العاجز الفقير

عبد الرحمن بن محمد القماش، إمام وخطيب مسجد نورسلى - رأس الخيمة، دولة الإمارات العربية المتحدة، ج٦٣ ص٢١٦.

^(٨٩)

^(٩٠)

^(٩١)

^(٩٢)

٤- هنالك إجراء داخلي يجب أن ينفذه أيضاً وهو مقاومة هذه الانفعالات ومحاولة إخمادها وذلك بتكرار رسالة أخرى مفادها: "يجب علي أن أقاوم أي انفعال أتعرض له مهما كان صغيراً"
هذه الرسالة سوف تجد طريقها للعقل الباطن والذي يعتبر المتحكم الرئيسي بالانفعالات(٩٣).
٥- كإجراء آخر وهو أنك تسلك طريقاً ما وتعتقد بقوة أنه سيؤدي بك إلى النجاح المطلوب، ولكن عند فشل هذا الطريق فإن الواجب تغييره وسلوك طريق آخر حتى يتحقق النجاح المطلوب. إن الاعتقاد بالنجاح هو نصف النجاح، أي أنك إذا اعتقدت بقوة أنك ستنجح في عمل ما فإن هذه العقيدة ستكون الوسيلة الفعالة لنجاحك في هذا العمل(٩٤).

ثانياً-خطوات علاجية من القرآن:

لقد حدثنا كتاب الله تعالى عن صفات الجنة التي وعدها الله المتقين: (وسارعوا إلى مقبرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين)(٩٥) ولكن ما هي صفات هؤلاء المتقين؟
يقول تعالى في الآية التالية: (الذين يتفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين)^(٩٦)

لقد تضمنت هذه الآية ثلاثة إجراءات عملية:

- ١- إنفاق شيء من المال على الفقراء: وهذا ما أكده العلماء أنه يكسب الإنسان نوعاً من الاستقرار النفسي: (الذين يتفقون في السراء والضراء).
 - ٢- أن يحاول الإنسان إخماد انفعالاته بأية طريقة ولا يسمح لها أن تنطلق باتجاه الآخرين: وهذه القاعدة أيضاً تعلم الإنسان شيئاً من الانضباط الذاتي (والكاظمين الغيظ)^(٩٧).
 - ٣- لقد تضمنت الآية إجراءً عملياً يتمثل في التسامح مع الآخرين، وهذا ما يؤكد جميع العلماء اليوم من أن التسامح هو أفضل وسيلة لضبط الانفعالات. (والعافين عن الناس).
- إن القرآن يعترف بأن هناك من الأحداث ما يستدعي غيظ الإنسان، والذي لا يغضب على الإطلاق إنما يسلك طريقاً لا يتوافق مع طبيعة البشر السوية، والله يريد من الإنسان أن يكون إنساناً، له عواطفه وشعوره وانفعالاته، ولكن الله المربي الحق يهذب انفعالات هذا الإنسان^(٩٨)
- ولنا في النبي صلى الله عليه وسلم القدوة الحسنة، فحين مات ولده إبراهيم:

(٩٣) ينظر: الحاوي في تفسير القرآن الكريم ويسمى (جنة المشتاق في تفسير كلام الملك الخلاق) العاجز الفقير عبد الرحمن بن محمد القماش إمام وخطيب مسجد نورسلي - رأس الخيمة دولة الإمارات العربية المتحدة، ج١٦ص٦٢٦

(٩٤)

(٩٥) سورة آل عمران، الآية رقم ١٣٣.

(٩٦) سورة آل عمران، الآية رقم ١٣٤.

(٩٧) ينظر: تفسير الشعراوي - الخواطر، المؤلف: محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ)، الناشر: مطابع أخبار اليوم، عدد الأجزاء:

٢٠ (ليس على الكتاب الأصل - المطبوع - أي بيانات عن رقم الطبعة أو غيره، غير أن رقم الإيداع يوضح أنه نشر عام ١٩٩٧ م)

ج٢ص١٧١٥.

(٩٨) تفسير الشعراوي - الخواطر، المؤلف: محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ)، الناشر: مطابع أخبار اليوم، عدد الأجزاء: ٢٠ (ليس

على الكتاب الأصل - المطبوع - أي بيانات عن رقم الطبعة أو غيره، غير أن رقم الإيداع يوضح أنه نشر عام ١٩٩٧ م) ج٢ص١٧١٥.

قال عليه الصلاة والسلام: **«إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لحزون»** ^(٩٩). إن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يمزج بين العاطفة والإيمان، فالعين تدمع، والقلب يحزن، والإنسان لا يكون أصمَّ أمام الأحداث، إنما على الإنسان أن يكون منفعلاً انفعلاً مهذباً. وعندما يعبر القرآن عن الإنسان السوي فهو لا يضع المؤمن في قالب حديدي بحيث لا يستطيع أن يتغير فيقول سبحانه: **«أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعْرَظَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ»** ^(١٠٠)

إذن فيلس المؤمن مطبوعاً على الذلة، ولا مطبوعاً على العزة، لكنه ينفعل للمواقف المختلفة، فهذا موقف يتطلب ذلة وتواضعاً للمؤمنين فيكون المؤمن ذليلاً، وهناك موقف آخر يتطلب عزة على الكافرين المتكبرين فيكون المؤمن عزيزاً، والحق سبحانه يقول عن المؤمنين: **«مُحَمَّدٌ رُسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَاءُ عَلَى الْكُفَرَاءِ رُحَمَاءٌ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا»** ^(١٠١)

نأتي الآن إلى الآية التالية حيث يقول تعالى: **«وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ اللَّهُ لَمْ يَكُنْ يَصِرُوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ»** ^(١٠٢)

لقد تضمنت هذه الآية أيضاً ثلاثة إجراءات عملية لعلاج ظلم النفس، وجميعنا يعلم أن الانفعال والتسرع والتهور هي أنواع من ظلم الإنسان لنفسه. وهذه الإجراءات هي:

١- الاعتراف بالذنب: فعندما يرتكب المؤمن فاحشة أو ظلماً لنفسه أو ينفعل أو يتسرع في تصرف ما يجب عليه مباشرة أن يدرك خطأه بل ويعترف به: **«ذُكِّرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ»**، إن هذه الآية تؤكد على الاعتراف بالذنب، لأن الاستغفار وطلب المغفرة من الله تعالى لا يكون إلا بعد أن يحس المؤمن بخطئه وذنبه فيستغفر الله. وقد أكد جميع الباحثين أن الاعتراف بالذنب أمام النفس هو طريق للشفاء. ولكن القرآن يأمرنا أن نعتزف بذنوبنا أمام الله تعالى!! فهو الأقدر على شفائنا ^(١٠٣).

٢- اليقين بأن هذا الانفعال وهذا الخطأ يمكن معالجته: ويؤكد العلماء أن ثقة المريض بالشفاء ويقينه بذلك تمثل نصف الشفاء إن لم يكن أكثر، وهنا يتجلى معنى قوله تعالى: **«وَمَن يَغْفِرِ اللَّهُ لَكَ فَهُوَ كَلِمَاتٍ تَنجِيكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ثِقَةٌ كَبِيرَةٌ بِإِمْكَانِيَةِ مَغْفِرَةِ الذَّنْبِ وَأَنَّ هَذَا الْإِنْفِعَالَ يُمْكِنُ أَلَّا يَتَكَرَّرَ»** ^(١٠٤).

^(٩٩) أخرجه الطبراني في "الكبير" ٢٤ / (٤٣٣)، وفي "الأوسط" (٨٨٢٩) من طريق ابن خثيم، بهذا الإسناد، وفي رواية "الأوسط": قال أبو بكر، دون شك. ويشهد لأصله حديث أنس عند البخاري (١٣٠٣)، ومسلم (٢٣١٥)، وأبي داود (٢١٢٦)، وفيه: فجعلت عينا رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - تذرفان فقال له عبد الرحمن بن عوف: وأنت يا رسول الله؟ فقال: "يا ابن عوف، إنها رحمة" ثم أتبعها بأخرى فقال - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لحزون" (٢) في (س) و (م): "واحرباه"، والمثبت من (ذ)، وهو الموافق لرواية الحاكم والبيهقي.

^(١٠٠) سورة المائدة، الآية رقم ٥٤.

^(١٠١) سورة الفتح، الآية رقم ٢٩.

^(١٠٢) سورة آل عمران، الآية رقم ١٣٥.

^(١٠٣) ينظر: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) المؤلف: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ) الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠ م، ج ٦ ص ٢٥.

^(١٠٤) ينظر: تفسير الشعراوي - الخواطر، المؤلف: محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ)، الناشر: مطابع أخبار اليوم، عدد الأجزاء:

٢٠ (ليس على الكتاب الأصل - المطبوع - أي بيانات عن رقم الطبعة أو غيره، غير أن رقم الإيداع يوضح أنه نشر عام ١٩٩٧ م)

٣- يؤكد جميع علماء البرمجة اللغوية العصبية أن الطريق المثالي لعلاج الكثير من الاضطرابات النفسية والانفعالات هو أن يكون لديه الإرادة الكافية والقوية لعدم تكرار الانفعال وعدم الإصرار عليه^(١٠٥) وهذا ما تحدثت عنه الآية الكريمة: (وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ)؟؟^(١٠٦)

المطلب الخامس : أثر القرآن في بناء فكر الإنسان.

للعقل مكانة كبيرة في الدين الإسلامي ، فهو أصل في التوصل إلى الاعتقاد الصحيح ، وهو دليل من أدلة الاجتهاد^(١٠٧) قال تعالى حكاية عن قول الكفار حين دخولهم النار: (لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ)^(١٠٨) والمعنى: لو كنا من أهل العلم لما كنا من أهل النار، وإِثْمًا جمع بَيْن السَّمع والعقل لأن مدار التكليف على أدلة السَّمع والعقل^(١٠٩). وقال الرَّجَّاح: معناه لو كُنَّا نَسْمَعُ سمع من يعي، أو نعقل عقل من يميّز وينظر، ما كُنَّا من أهل النار^(١١٠).

وروى أبو سعيد الخدري مرفوعاً: (إن لكل شيء دعامة، ودعامة المؤمن عقله)^(١١١).

فقال الراغب الأصفهاني في تفسير قوله تعالى: (فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لِمَا تَكَلَّفَ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفُرَ بِأَسْ الذِّينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَاسًا وَأَشَدُّ تَكْفِيلًا)^(١١٢):

فمعناه صحيح، وبيان ذلك أن فضل الله وإن كان لا تحصى تفصيلاته، فالذي به هدانا إلى البلوغ إلى ثوابه فضلان: فضل العقل وفضل الشرع، وعنى هاهنا بالفضل الشرع دون العقل. وبين أنه لولا ما أنعم به على الناس من رسوله وكتابه لما اهتدى

من خلأته بالعقل المجرد إلا قليل من الناس، والقليل الذين لم يكونوا يتبعون الشيطان لولا فضل الله، هم

(١٠٥)

(١٠٦) في ظلال القرآن، المؤلف: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥هـ) الناشر: دار الشروق - بيروت- القاهرة، الطبعة: السابعة عشر - ١٤١٢ هـ، ج٤ص٢٣٦٩.

(١٠٧) ينظر: الشرح المبسر لقواعد الأصول ومعاقد الفصول، المؤلف: أبو عبد الله، أحمد بن عمر بن مساعد الحازمي، ج٤ص٧.

(١٠٨) سورة الملك، الآية رقم ١٠.

(١٠٩) ينظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد

عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس

قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م، ج٤ص٣٢٧.

(١١٠) معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، المؤلف: محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٠هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ ج٥ص١٣٦

(١١١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الفيتابي الحنفي بدر الدين العيني (المتوفى: ٨٥٥هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، عدد الأجزاء: ٢٥ × ١٢، ج٢ص٤١. وينظر: بغية الباحث عن زوائد

مسند الحارث، المؤلف: أبو محمد الحارث بن محمد بن داهر التميمي البغدادي الخصيب المعروف بابن أبي أسامة (المتوفى: ٢٨٢هـ)

المنتقى: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان بن أبي بكر الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧ هـ) المحقق: د. حسين أحمد صالح

الباكري، الناشر: مركز خدمة السنة والسيرة النبوية - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ - ١٩٩٢، ج٢ص٨١٣.

(١١٢)

الحكماء والأولياء، الذين تتلو منزلتهم منزلة الأنبياء عليهم السلام(١١٣).

وقد بلغت النصوص التي تتناول التنبيه إلى دور العقل المئات ، ومن خلال نظرة عامة إلى هذه النصوص نكتشف أن مشروع الإسلام في إعطاء العقل دوره الحقيقي قد جاء على مرحلتين ؛ فهو يبتدئ بتحرير العقل ، ثم ينتقل إلى توجيه طاقاته.

أولاً- تحرير العقل :

هذه الخطوة الأولى من خطوات المشروع الإسلامي المذكور نكتشفها في النصوص التي توجهت إلى نبذ القيود التي تقيد العقل وتمدُّ من نشاطه الحقيقي ، وتقوده إلى أخطاء خطيرة بسبب ذلك .. وهذا ما نجده في نموذجين بارزين :

الأول : نبذ التقليد الأعمى : وأمثله في القرآن الكريم كثيرة جدا ، نقرؤها في سور متعددة ومشاهد متعددة : فبينما كان يؤكد افتقارهم إلى أدنى حجة ذات قيمة في ما يعتقدون من عبادة الأوثان والعقائد الزائفة ، ركز على أن كل ما يمتلكونه من حجة هو أنهم وجدوا آباءهم على ذلك ، فتمسكوا به .. (**بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ**) (١١٤).

ثم يؤكد أن هذا هو دين هذا الصنف من الناس الذي أغلق على ذهنه المنافذ .. (**وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ**) (١١٥). وهكذا يسوق مقولتهم هذه مرتين في آيتين متتابعتين ليجسد ما تنطوي عليه هذه المقولة من تهافت ، وما يغيب فيه هؤلاء من جهل متجذّر موروث لا يصغي لدعوة حق ولا لبرهان ساطع بل ليس لديهم أكثر من ترديد مقولتهم تلك (**أَجِئْنَا لَتَلْفِئْنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا**) (١١٦)؟! حتى لو جاءهم متحديا لما وجدوا عليه آباءهم مبيّنا فساده .. (**قَالَ أُولُو جِنَّتِكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ**) (١١٧)؟ حتى مع مثل هذه الاستثارة لا يبحثون عن برهان ، ولا يفتحون نافذة للنظرة ، بل وقفوا دائما بتحجرهم الأول ، و (**قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ**) (١١٨) ، و (**قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا**) (١١٩)!! ويكرر القرآن النكير على هؤلاء في مواضع آخر ، لأنه إنما يواجه في مشروعه المعرفي نظريات استحكمت وترسخت لدى أمم متتابعة ، لا يستبعد أن يكون لها امتداد في مستقبل الأمم أيضا .. فلقد تجاوزت هذه النظرية حدود المعارف والمعتقدات إلى السلوك والمعاملات .. (**وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا**) (١٢٠) و (**قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ**) (١٢٠)

(١١٣) تفسير الراغب الأصفهاني، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ) جزء ١: المقدمة

وتفسير الفاتحة والبقرة، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني

الناشر: كلية الآداب - جامعة طنطا، الطبعة الأولى: ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، ٣٢٥ ص ١٣٥٥.

(١١٤) سورة الزخرف ، الآية رقم ٢٢

(١١٥) سورة الزخرف ، الآية رقم ٢٣.

(١١٦) سورة يونس، الآية رقم ٧٨.

(١١٧) سورة الزخرف ، الآية رقم ٢٤.

(١١٨) سورة المائدة، من الآية رقم ١٠٤.

(١١٩) سورة الأعراف، الآية رقم ٢٨.

(١٢٠) سورة الشعراء، الآية رقم ٧٤

بعد هذا يبين القرآن الكريم الجزاء الذي ينتظر قوما مضوا على هذا النهج ، مثيرا الازهان إلى ضرورة الحذر من نهج كهذا .. (فانثقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكتبين)^(١٣١).

ثانيا- توجيه طاقة العقل:

بعد أن حرزت العقيدة الإسلامية العقل من القيود التي تأسره ، أطلقتته إلى أمام وهي توجه طاقاته من خلال الالفات والتدبر في الكون والحياة ، من أجل بناء متكامل دينا ودنيا .. ويمكننا أن نشير إلى مجموعات من آيات الذكر الحكيم توجه العقل إلى آفاق رحبية متعددة ، منها :

١- التدبر في آيات الله تعالى في الآفاق وفي الأنفس :

قال تعالى : (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات لأولي الألباب * الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فقتنا عذاب النار)^(١٣٢)

ومما يلفت النظر عناية القرآن بذكر مشاهد الكون عناية كبيرة من خلال تكرار عرضها في أكثر من سورة ، عرضا متنوعا ، ودعوته الإنسان بإلحاح إلى النظر والتأمل فيها ، والتفكر في مجرى حوادثها ، والأهم من ذلك كله جعل هذا الكون منطلقا للوصول إلى الله تعالى خالقه ومبدعه.

وقد ورد عن رسول الله أنه كان يقرأ : (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات لأولي الألباب * الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فقتنا عذاب النار)^(١٣٣) ، ويقول : ((ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها))^(١٣٤).

وقد سلك الأئمة الأطهار : طريق الاستدلال على وجود الله تعالى من خلال التأمل العقلي في الكون وما فيه من نظم دقيق وتناسق بديع ، وهو الدليل الذي أطلق عليه المتكلمون^(١٣٥)

ومن ناحية أخرى يثير القرآن الكريم في الازهان دواعي التفكير الجاد والمثمر في ما يعرضه من معارف ، فمرة بصيغة الاستفهام الاستنكاري ، كقوله تعالى : (أفحسبتم أنما خلقتنا عبثا وآنكم إلينا لا ترجعون)^(١٣٦) ومرة بصيغة النفي للتصورات الساذجة ، كقوله تعالى : (وما خلقتنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين * ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون)^(١٣٧)

(١٣١) سورة الأعراف، الآية رقم

(١٣٢) سورة آل عمران، من الآية رقم ١٩٠ إلى ١٩٢.

(١٣٣) سورة آل عمران، من الآية رقم ١٩٠ إلى ١٩٢.

(١٣٤) ينظر: شرح مشكل الآثار، المؤلف: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: ٣٢١هـ) ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ، ١٤٩٤ م، ج١ ص٣٣

(١٣٥) ينظر: كتاب أصول الدين، المؤلف: جمال الدين أحمد بن محمد بن سعيد الغزنوي الحنفي (المتوفى: ٥٩٣هـ) المحقق: الدكتور عمر

وفيق الداوق، الناشر: دار البشائر الإسلامية - بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ - ١٩٩٨، ج١ ص٦١

(١٣٦) سورة المؤمنون، الآية رقم ١١٥

(١٣٧) سورة الأنبياء، من الآية ١٦ إلى ١٧.

٢:- النظر في سنن التاريخ :

دعنا العقيدة إلى تأمل أحداث التاريخ بنظر ثاقب ، وفكر فاحص ، وصولاً إلى العوامل التي كانت سببا في تدهور المجتمعات ، وسقوط الحضارات ، أو نموها ، قال تعالى : (قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين)^(١٣٨)

وقال تعالى : (ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكنتهم في الأرض ما لم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مبرارا وجعلنا الأنهر تجري من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين)^(١٣٩) .
وقال تعالى : (ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزي القوم المجرمين)^(١٤٠)

إنها دعوة تلح على الناس أن يحركوا عجلة عقولهم ، وينظروا في تاريخ من قبلهم ، حتى لا يكونوا كالقطيع التائه يسير بلا راع نحو المجهول ، وهي دعوة ذات منهج مرسوم من أجل الاستفادة من تجارب الحضارات السابقة ودراسة أسباب سقوطها ، لا سيما وأن التاريخ يعيد نفسه قال تعالى : (سنئة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا)^(١٤١) ولا بد من التنويه على أن دور الدين ومسؤوليته في حياة الإنسان هو إيجاد جو من الملائمة والانسجام بين سلوك وتفكير الإنسان وبين سنن الله تعالى في الحياة ، وتحويل مجرى حياة الإنسان إلى تيار هذه السنن الإلهية التي جعلها الله نظاما لخلقها وتكوينه في هذا الكون

فالدين يوجه فكر الإنسان إلى النظرة العميقة والهادفة ، وبطبيعة الحال هناك فرق كبير بين النظرة السطحية الساذجة للحياة والتاريخ ، وبين النظرة العميقة والمتفحصة التي لا تقتصر على ملاحظة الشيء أو الحدث ، وإنما تنفذ إلى أعماقه ، وترصد لوازمه ودلالاته بغية استنباط السنة التاريخية التي تنطبق عليه ، فعلى سبيل المثال يمر السائح على أهرامات مصر ، فينبهر لروعة بناؤها ، وشدة ارتفاعها ، ويتمتع بمنظرها وينتهي كل شيء. أما المفكر الواعي المتسلح بالعقيدة ، فعندما يمر عليها ، ترتسم في ذهنه عددة تساؤلات : عن قدرات الإنسان ، وعن الظلم الذي كان سائدا آنذاك من خلال تسخير الفراعنة لأعداد كبيرة من الناس للعمل في بناء هذه الأهرامات ، وما لاقوه من العناء والتعب وصنوف التعذيب ، كما يستنتج ما تنطوي عليه فكرة الفراعنة الخاطئة عن الموت والبعث ، بل يتزود المؤمن الوعي بعد تلك المعارف بالعبارة النافعة^(١٤٢)
و روي عن أبي الدرداء، أنه قال: ((تفكر ساعة حين من قيام ليلة))^(١٤٣)

^(١٣٨) سورة آل عمران، الآية رقم ١٣٧.

^(١٣٩) سورة الانعام، الآية رقم ٦.

^(١٤٠) سورة يونس، الآية رقم ١٣.

^(١٤١) سورة الأحزاب، من الآية رقم ٢٨.

^(١٤٢) ينظر: دور الدين في حياة الإنسان ، للشیخ الأصفی : ١٣١ - ١٣٢ - دار التعارف ط٢.

^(١٤٣) حلیة الأولیاء وطبقات الأصفیاء، المؤلف: أبو نعیم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهانی (المتوفى:

٤٣٠هـ)، الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م ثم صورتها عدة دور منها:

١ - دار الكتاب العربي - بيروت

٢ - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت

٣ - دار الكتب العلمية- بيروت (طبعة ١٤٠٩هـ بدون تحقيق)، ج١ ص٢٠٨.

ولما مرَّ أمير المؤمنين بخرائب المدائن ، أعطى لأصحابه درسا حول العبرة من التاريخ ، قال : « إن هؤلاء القوم كانوا وارثين ، فأصبحوا مورثين ، وإن هؤلاء القوم استحلوا الحُرْمَ فحلت فيهم النقم ، فلا تستحلوا الحُرْمَ فتحل بكم النقم »^(١٣٤)

وقال : « فاعتبروا بما أصاب الأمم المستكبرين من قبلكم من بأس الله وصولاته ، ووقائعه ومثلاته .. »^(٣)

٣- النظر في حكمة التشريع :

الغرض من ذلك ترسيخ قناعة المسلم بتشريعه وصوابيته وبيان صلاحيته للتطبيق في كلِّ زمان ومكان ، من أجل أن تنقشع عن فكر المسلم غيوم الشبهات التي يثيرها أعداء العقيدة من حوله. وإذا كانت بعض أحكام الدين الإسلامي توقيفية ، تدعو المسلم نحو التسليم بها ، ولا يجدي معها إعمال العقل ، كالأمر العبادية ، إلا أن هناك تشريعات في الإسلام ذات أبعاد اجتماعية كشف القرآن لنا عن الحكمة الكامنة من وراء تشريعها لمصالح تعود إلى الفرد والمجتمع ، من قبيل قوله تعالى : (ولَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)^(١٣٥)

وقوله تعالى : (ما يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ)^(١٣٦)

٤- توجيه العقل إلى النظر ، والتثبت في الرأي ، واستقلالية التفكير والقرار :

قال رسول الله : ((لا تكونوا إمعة ، تقولون : إن أحسن الناس أحسنا ، وإن ظلموا ظلمنا ، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا ، وإن أسأؤوا أن لا تظلموا))^(١٣٧)

وقال تعالى : (أفلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبِ أَقْفَالِهَا)^(١٣٨)

نداء بليغ إلى النظر وإعمال الفكر ، من خلال الاستنكار على السطحيين والمغفلين المعاندين ، أولاً ، ثم من خلال التقرير العنيف لهذه الأضناف من الناس ، ثانياً^(١٣٩). وقال تعالى : (هَلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)^(١). فلا قيمة لدعوى لا تستند إلى برهان صحيح ، وإذا كان الزمخشري قد رأى أنَّ هذا النصُّ هو « أهدم شيءٍ لمذهب المقلدين »^(١٤٠). فإنَّ فيه ما يفيد أكثر من ذلك ، إذ قد ينصرف لفظ المقلدين إلى من غلب عليهم التقليد ، لكنَّ هذا النصُّ حاكم على دائرة الفكر البشري بكامل أجزائها ونواحيها ، فقد يقع المفكرون - وكثيرا ما وقعوا - بأغلاط كبيرة نتيجة اعتمادهم بعض الكليات العامة التي استقر في أذهانهم أنها بديهيات لا تحتاج إلى برهان ، بينما لم تكن هذه الكليات في حقيقة أمرها إلا تصوّرات صادرة عن أوهام أو قصور في العقل. وهذا كثير في أغلاط

^(١٣٤) أخرجه الحاكم في المستدرک، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد " ج٢ص٤٨٨، تحت الرقم: (٣٦٨٠).

^(١٣٥) سورة البقرة، الآية رقم ١٧٩.

(١٣٦) سورة المائدة، الآية رقم ٦.

(١٣٧) أخرجه الترمذي في الجامع الكبير - سنن الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى بن سؤرة بن موسى بن الضحاک، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، المحقق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت، سنة النشر: ١٩٩٨ م، ج٣ص٤٣٢. وقال: هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

(١٣٨) سورة محمد، الآية ٢٤.

(١٣٩) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى :

١٣٩٢هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت - لبنان

عام النشر: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، ج٦ص٢٤٥.

(١٤٠) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٢٨هـ)، الناشر:

دار الكتاب العربي - بيروت والطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ، ج٣ص١٧٨

أهل الجدل ، بل قد يقع أحيانا حتى في العلوم التطبيقية ، حين ينظر إلى بعض الاستنتاجات على أنها قوانين علمية ثابتة ، في حين أنها استنتاجات قائمة على ملاحظات ناقصة ، وهكذا نلمس مدى أكبر لدعوة القرآن الكريم إلى تقديم البرهان التام على كل مقولة ودعوى وسواء كانت في العلوم العقلية ، أو في العلوم التطبيقية.

٥ - توجيه الإنسان إلى كسب العلم والمعرفة :

من المسلمات التي لا تحتل جدلاً ، أن الدين الإسلامي يحث بقوة على كسب العلم والمعرفة ، ومن يتأمل سور القرآن الكريم يجد ذلك يتكرر كثيرا تصرّحا أو تلميحاً :

(فَلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ) ^(١٤١)

وقال تعالى: (يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ أَمَثُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) ^(١٤٢)

وقال تعالى: (وَفَلَن رَّبُّ زِدْنِي عِلْمًا) ^(١٤٣) .

وقال تعالى: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) ^(١٤٤)

ولأهمية العلم فقد أخذ الله تعال الميثاق على أهل الكتاب من أجل تبيينه ، وعدم احتكاره : (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ..) ^(١٤٥) .

ونتيجة لهذا الزاد المعرفي الغني ، انطلق الإنسان المسلم من أسر الجهل والتخلف إلى آفاق العلم الواسعة ، فأخذ يتأمل الظواهر الكونية ، ويكتشف أسرار الطبيعة ، من خلال المنهج التجريبي الذي وجهته عقيدته إليه ، وهو المنهج الذي قام عليه العلم الحديث.

يقول : (جب) في كتابه : الاتجاهات الحديثة في الإسلام : « أعتقد أنه من المتفق عليه أن الملاحظة التفصيلية الدقيقة التي قام بها الباحثون المسلمون ، قد ساعدت على تقدم المعرفة العلمية مساعدة مادية ملموسة ، وأنه عن طريق هذه الملاحظات وصل المنهج التجريبي إلى أوروبا في العصور الوسطى ، » ^(١٤٦) .

وللإنسان أن يقف مبهوراً أمام عظمة العقيدة الإسلامية ، التي أحدثت ذلك الانقلاب الحضاري في نفوس أبناء الصحراء حتى صاروا طليعة العالم كله في العلم والمعرفة وسائر جوانب الحضارة والمدنية.

^(١٤١) سورة الزمر، الآية رقم ٩.

^(١٤٢) سورة المجادلة، من الآية رقم ١١.

^(١٤٣) سورة طه، الآية رقم ١١٤.

^(١٤٤) سورة فاطر، من الآية رقم ٢٨.

^(١٤٥) سورة آل عمران، من الآية رقم ١٨٧.

^(١٤٦) (١) راجع كتاب منهج التربية الإسلامية ، محمد قطب : ١١٩ - دار دمشق ط٢.